

## فليُنظر الإنسان إلى طعامه

كثيرة هي الآيات التي توجّه الإنسان للتفكير والتأمل في نفسه، وفي الأمور المحيطة به.

ومن ذلك قوله تعالى {فَلَا يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ} [الطارق: 5]، {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُدْرِكُونَ} [الذاريات: 21]، {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ اللَّافِ أَفَلَا تَسْنَتِكُمْ} وَأَلْوَانِكُمْ} [النَّاسِ] فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ} [الروم: 22]، وكذلك قوله تعالى {سَنُزِيلُهُمْ فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَمًا يَتَذَكَّرُونَ لَهُمْ أَنْزَلَهُ الْحَقُّ} [فصلت: 53]، {فَلَا يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} [عبس: 24].

وعندما ننظر إلى الطعام، علينا أن نلاحظ المحاور التالية:

المحور الأول: الإيفان بعلم الله تعالى وقدرته:

هذا الطعام لم يخلق نفسه، بل خلقه عليم قدير.

انظر إلى هذه الحيوانات المختلفة في البر والبحر (أنعام وطيور وأسماك)، وهذه النباتات والفواكه والخضروات، من الذي خلقها وأبدعها بألوان وأشكال وطعم مختلف، هذه فاكهة الصيف، وتلك فاكهة الشتاء، هذا حلو، وذاك حامض {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} وَمِنْ كُلِّ نَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلَائِسُونَهَا} وَتَرَى الْفُلُوكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَذَكَّرُوا

مِنْ فَضْلِهِ وَلاَ يَعْلَمُكُمْ تَشْكُرُونَ} [فاطر: 12].

أعطى الأسماك الخياشيم لتنفس تحت الماء، وأنبت الأشجار في أعماق البحار، لتأكل تلك الأسماك وتنمو وتتكاثر، وألهم بعض الأسماك الهجرة من منطقة إلى أخرى لتضع البيوض.

حتى نحصل على هذا الطعام، خلق الله تعالى الأرض والتراب، والشمس والقمر، وجعل الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس، وخلق الهواء والضوء، والحاصل: كل هذه الأسباب وغيرها، مضافاً إلى المزارعين والعمال الذين رعوا هذه المحاصيل لتنمو وتصل إليك.

المحور الثاني: جلب الخيرات والنعيم من مشارق الأرض ومغاربها:

قال الله سبحانه: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبِيهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ نَمَرَاتٍ كُفَّٰرٍ شِيءٍ رَّزَقُوا مِنْ لَدُنَّا وَلاَ يَكْفُرُونَ} [الفص: 57].

نحن نجلس على المائدة، هذا التفاح أسباني، والموز تشيلي، والبرتقال مصري، والسكك من الخليج، والرز من باكستان، وووو إلخ.

من الذي هيأ الظروف والأسباب لجلب هذه الأطعمة من شرق الأرض وغربها، لنجلس نحن على المائدة ونستفيد منها.

المحور الثالث: من حلال أو حرام أو شبهة:

قال سبحانه: {فَابْعَثُوا أَدْعَاكُمْ بِوَرَفِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَا يَنْظُرُوا إِلَيْهَا أَرْزَقَكُمْ طَعَامًا فَلَا يَأْتِكُمْ بَرْرَ زَوْقٍ مِّنْهُ} [الكهف: 19].

من المميزات التي أوصلت أصحاب الكهف لهذه المنزلة، أنهم لا يأكلون أي طعام، بل يبحثون عن (أيها أركى طعاماً)، فلنعتبر من هذا الدرس.

<روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من أحب أن يستجاب دعاءه فليطيب مطعمه وكسبه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لمن قال له: أحب أن يستجاب دعائي، قال له: طهر مأكلك، ولا تدخل بطنك الحرام> [عدة الداعي ونجاح الساعي: 128].

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم <دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنك لن تجد فقد شيء تركته إلا عز وجل> [وسائل الشيعة 27: 170].

من ترك أمراً إلا تعالى (مثلاً ترك نظرة محرمة أو مشكوكة، أو ترك لقمة محرمة أو مشكوكة) ترك ذلك إلا عز وجل، فقد وقع أجره على الله. وإسبحانه يعوضه عن ذلك بما هو أفضل وأدوم منه، ربما يمن عليه بالصحة والعافية، أو البركة في الذرية والمال، أو طول العمر في خير، أو يدخر له ذلك في الآخرة، ويجزيه بالثواب الخالد.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام <إياك والوقوع في الشبهات والولوع بالشهوات، فإنهما يقودانك إلى الوقوع في الحرام، وارتكاب كثير من الآثام> [عيون الحكم والمواعظ: 99].

المحور الرابع: عدم الإسراف أو التبذير:

قال الله سبحانه وتعالى {كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَلا يَـوْـمَـاً حَمَـادِهِ} [والأنعام: 141].

وللأسف ما زلنا نرمي بكميات كبيرة من الطعام في القمامة!!!

ولعل البعض يرسل تلك الكميات الكبيرة والمتنوعة من الأغذية إلى الحيوانات، وهو يعتقد بأنّه تخلص من مشكلة الإسراف، فأصبحنا نطعم الحيوانات طعاماً لا يجده كثير من البشر!!

وتزداد حالة الإسراف عندما نكون في (بوفيه مفتوح) فنملأ الصحن بكميات كبيرة جداً، ويصبح الصحن كالجبل، ثم نأكل لقيمات معدودة، ونرمي بالباقي إلى القمامة، وهذا كفران بالنعمة، ومن أسباب غلاء الأسعار، وسلب النعمة.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام <أَحْسِنُوا جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَنْتَقِلَ عِنْدَكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ، أَمَا إِنَّهَا لَمْ تَنْتَقِلْ عَنْ أَحَدٍ وَطَّافَتْ وَكَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: قَلَّ مَا أَدَبَ بَرَّ شَيْءٌ وَأَوْفَى دَلَّ > [الكافي 4: 38].

المحور الخامس: الطعام والشراب وسيلة وليس غاية:

الطعام والشراب نتقوى بهما على عبادة الله تعالى وطاقته، وإعمار الأرض بالخير، وإصلاح المجتمع. كما بلذة الطعام الحلال والشراب الطيب، نخفف عن أنفسنا مرارة الحياة القاسية، ونحمد الله على نعمه وألطافه. إلا أن بعض الناس جعل دأبه التفكير في بطنه وطعامه، وشغله الشاغل التنقل من مطعم إلى كافي شوب إلى بوفية إلى محل العصيرات.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام <من كانت همته ما يدخل في بطنه كانت قيمته ما يخرج منه> [عيون الحكم والمواعظ: 436].

وروي عنه عليه السلام <فما خُلقت ليشغلي أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسله شغلها تقممها، تكثرش من أعلافها وتلهو عما يراد بها> [نهج البلاغة 3: 72].

المحور السادس: شكر النعمة:

عدم التأفف والتذمر.

من الشكر التقوي بهذه النعمة على طاعة الله عز وجل.

قال ابن سبكانه {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [الذاريات: 19]، {إِنَّمَا  
بَلَّغُوا نَهَاهُمْ كَمَا بَلَّغُوا نَهَا أَصْحَابِ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا  
مُصْرِحِينَ} [الفلم: 17].

المحور الثامن: تذكر مظلومية أهل البيت عليهم السلام:

<عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا  
اسْتَسْقَى الْمَاءَ فَلَمَّا شَرِبَهُ رَأَيْتُهُ قَدِ اسْتَعْبَرَ وَاعْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ  
بِدُمُوعِهِ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا دَاوُدُ- لَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ،  
وَمَا مِنْ عَبْدِ شَرِبَ الْمَاءَ فَذَكَرَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَهْلَهُ بِيَدَيْهِ،  
وَلَعَنَ قَاتِلَهُ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِئَةَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَحَطَّ  
عَنْهُ مِئَةَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ مِئَةَ أَلْفِ دَرَجَةٍ، وَكَأَنَّ مَا أَعْتَقَ  
مِئَةَ أَلْفِ نَسَمَةٍ، وَحَشَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ  
الْفُؤَادِ> [الكافي 6: 391].

<بَكَى عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَى أَبِيهِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَشْرِينَ سَنَةً أَوْ  
أَرْبَعِينَ سَنَةً وَمَا وَضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامٌ إِلَّا بَكَى عَلَى الْحُسَيْنِ،  
حَتَّى قَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنِّي أَخَافُ  
عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ، قَالَ: إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى  
اللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، إِنِّي لَمْ أَذْكَرْ مَصْرَعَ بَنِي  
فَاطِمَةَ إِلَّا خَنَقَتْ نِي الْعَيْبَرَةَ لِذَلِكَ> [كامل الزيارات: 107].

وما توفيقي إلا بإذن سبحانه

25- محرم الحرام - 1441 هـ

الشيخ مرتضى الباشا